



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2021/05/10
تاريخ القبول: 2021/09/16

شيفرة العقل (الوعي)

code of mind (awareness).

حمال الدين بغورة^{1*} ، جميلة حنفي²

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

¹ جامعة الجزائر ٢ djameleddine.beghoura@univ-alger2.dz

² جامعة الجزائر ٢ djamila.hanifi@univ-alger2.dz

الملخص:

بالرغم من ان التفكير في العقل ضارب في القدم إلا أن كل التفاسير والإسقاطات و التقاطعات مع العقل وفلسفته لم تكن بتلك الدقة المرجوة، و مرت جانبا في معظم الأحيان، فكثيرا ما كان يحال كنوس أو لوغوس ليزداد غموضا، و قد كان الأجدر بالإنسان منذ القدم فهم فاهمته البشرية بتعبير هيوم حتى يتسنى له إستعمالها جيدا ، ولو كان فعل هذا لاختصر على نفسه الطريق و تجاوز الكثير من الأخطاء، اليوم تسير الفلسفة نحو اعتبار "فلسفة العقل" مبحثا مستقلا إلى جانب الأنطولوجيا والأكسيولوجيا والإبستمولوجيا، وتعتبر فلسفة العقل "الفلسفة الأولى" على حد تعبير الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" وتلك الفلسفة تعنى بالإجابة عن السؤال: ما هذا الذي يسمى عقلا ؟
الكلمات المفتاحية: العقل؛ الوعي؛ الفجوة التفسيرية؛ الفاهمة البشرية؛ الفلسفة الأولى.

ABSTRACT

Although thinking about the mind is rich in thought, all interpretations, intersections, and projections of the mind and its philosophy were not that accurate and went aside most of the time, it was often referred to as Nous or Logos to become more mysterious, and it was better for the human being since ancient times to understand his own being in the expression of Hume so that he can use it well, and if he did this he'd have taken a shortcut and overcome many mistakes. Today the philosophy goes towards considering the "philosophy of Mind" an independent branch along with ontology, axiology, and epistemology; the philosophy of Mind is regarded as the "first philosophy" according to the American philosopher "John Searle" and that philosophy is to answer the question: what is this so-called Mind?

Keywords: mind, consciousness, explanatory gap, human understanding, first philosophy

مقدمة

يقول مارتن هايدغر "إن العلم لا يفكر في ذاته" وهذا ما يقودنا للتساؤل إذن من يفكر في العلم إذا كان هذا الأخير لا يفكر في ذاته ؟

قد نتجه إلى قبوه التاريخي أو إلى بھو الإستيمولوجي في كثير من الأحيان بإحترام الترتيب و التعقيب الزمني . فإذا تصورنا أن العلم هو بناء معرفي فإن الإجابة عن هذا السؤال تقودنا إلى قبوه التاريخي أو بھو الإستيمولوجي . ولكن ماذا لو لم ننحى أيا مما سبق و إرتقينا تماما فوق البناء المعرفي و في السؤال كذلك فنقول مالذي يفكر به من يفكر في العلم ؟ أو بعبارة أخرى و في حقيقة الأمر ما هو المسؤول عن فعل التفكير ككل لعل الإجابة هي الشيء الأكثر ألفة للإنسان نفسه و هو "العقل" ليكون السؤال ما العقل ؟ أو ماذا نقصد بقولنا عقلا ؟

لعل جل الإشكاليات الفلسفية قد كانت نتيجة لسوء فهمه و من ثم سوء إستخدامه ومن الطبيعي أن لا يلتفت إليه أحد فمن المعتاد أن يكون هو المفكر لا المفكر فيه كان يقول ديكارت في مستهل كتابه مقالة في الطريقة : "العقل أعدل الأشياء قسمة و توزعا بين الناس" حتى أن العقل كان الجنس و الفصل القريب الذي يستمد الإنسان منه تعريفه وربما تحت تأثير رايل لم يعد الكثيرون يتحدثون عن العقل كإسم جمعي بل عن حالات عقلية مثل الإعتقاد ، الرغبة ، التذكر، و الوعي . هذا الأخير الذي يعد لب الجوهر مادام الجوهر هو العقل، ففي ظل دخول الآلة في التعريف المنطقي للعقل أصبح هذا الجوهر مهددا كتعريف منطقي ليصبح تعريف الإنسان منطقيا بأنه كائن واع أو يملك وعي ، باعتباره حكرا له دون غيره، وبالرغم من أنه أكثر الأشياء التصاقا وألفة للإنسان إلا أنه أكثر الأشياء التي نجهلها، ومن هنا كان الوعي لغزا محيرًا. فكيف يمكن أن يكون مألوفًا وملغزًا؟..

١ - وعينا بالوعي

لعلنا سنكون أوفياء للطابع الفلسفي وخاصة فيما يخص الطابع الاستشكالي اللغوي الخاص بالمصطلحات والمعاني والمفاهيم باعتبار أن منطلق المشكل هنا ربما يكون عدم التوافق على تعريف معين واحد موحد للوعي فسيكون ذلك ناتجا عن إختلاف سياق الفلسفة و تباين المذاهب المؤدي إلى تباين زوايا النظر بدوره.

فديكارت يقول أن "الوعي هو مجرد خاصية لكل حالة عقلية فردية مثلما يكون اللون خاصية لكل موضوع فيزيائي" (صلاح، ٢٠٠٧، ص: ١٤٧-١٤٨) والملاحظ من كلام ديكارت أن الوعي خاصية العقل وحالاته مصاحبة لكل واحدة منها وبالتالي هو لا يشكل مركزه ولا هامشه بل هامش حالاته - العقل - باعتبار أن ديكارت يعتبر أن العقل ككل هو الجوهر.

ولكن في مقابل ذلك باختلاف الزمان والمكان والمذهب أيضا هناك من يقول عكس ذلك تماما بل يجعل من الوعي ليس الجوهر ومركزا للعملية العقلية والفيزيولوجية باعتبار أن ديكارت الداعي للثنائية وأبرز من قال بها ميشوكاكو وحيث يقول في تعريفه للوعي في كتابه مستقبل العقل:

"إن الوعي هو الكيان الأساسي وهو أكثر أساسية حتى من الذرات يمكن للعالم المادي أن يأتي ويذهب لكن الوعي يبقى العنصر المحدد، وهذا يعني بمعنى ما أن الوعي هو الذي يخلق حقيقة وجود الذرات نفسها التي نراها حولنا مبني على بما أن وجودها مرهون بقدرتنا على رؤيتها ولمسها" (كاكو، ٢٠١١، ص: ٢٠٤-٢٠٥) ومنه فإن ما يحاول ميشوكاكو الإشارة إليه هو أن الوعي بالأشياء الخارجية المادية هو الذي يجعلها تدخل دائرة الوجود و الوعي بعالمنا الداخلي هو ما يجعله موجودا وحتى أنت تقرأ هذه الأسطر فوعيك بما هو ما يجعلك تتأكد من وجودها، وبالتالي فإن الوعي ليس مجرد هامش مصاحب للحالات العقلية كما سبق وأن قال ديكارت بل هو ما يعطيها شرعية النشاط ومن يعطي شرعية الوجود لمواضيعها.

ولعل "من أسباب غموض المصطلح أنه يشير إلى جملة من الظواهر، فأحيانا يدل على الاستبطان أو التقرير عن حالات الانسان العقلية وأحيانا يستخدم استخداما مرادفا لليقظة وتدل على الانتباه إلى الأشياء والأمور وفي بعض استعمالاتنا قد نخلط بينه وبين المعرفة عندما نستعمل تعبير الوعي بشيء ما ليدل على نفس دلالة "التعبير" بمعرفة شيء ما" ... (صلاح، ٢٠١٨، ص: ٧٦-٧٧) ولعل هذا الاختلاف في حصر واستعمال العقل قد انتبه إليه توماس ريد أيضا حيث قال: "ثمّة فرق بين الوعي والتأمل: فالوعي عام ومشترك بين جميع الناس في كل الأزمنة بيد أنه لا يكف بذاته لأن يقدم لنا أفكارا واضحة ومتميزة عن العمليات التي نعيشها وعن العلاقات المتبادلة، أما التأمل فهو ليس عاما ومشتركا بالنسبة للجميع وإنما هو من نصيب القلة منهم، إذ أن القطاع الأعظم من الناس لا يتأملون عمليات عقولهم بصورة حدسية" (محمود، ٢٠١١، ص: ١٠٠-١٠١) أي أن وعي الإنسان لوعيه على حد تعبير ريد يكون حدسيا أو كخاصية وثانيا يسمى تأملا حتى نفرقه ولا نعتبره كدرجة أرقى أو أعلى من درجات الوعي بالأشياء الحصولية باعتباره وعيا حضوريا، والنقطة الثانية هي أنه حكر على أقلية معينة. هنا يمارس ريد الإثبات بالنفي فهو يحاول إزالة اللبس عن كل المصطلحات التي تشبه الوعي وتتداخل معه في بعض الصفات والخصائص حتى يخلو له المجال لتعريف الوعي تعريفا دقيقا. ويعرفه بعدها بقوله: « هو عملية من عمليات العقل وموضوعاته هي : الأشياء ولدائنا الراهنة وآمالنا ورغباتنا، وأفكارنا من كل نوع ويزودنا الوعي باعتقاد يقيني لا يتزعزع... ليس نتيجة استدلال بل إنه اعتقاد حدسي مباشر ولما كان هذا الاعتقاد موجودا لدى جميع الناس فهو ملكة أصلية من ملكات العقل... ولما كان هذا الاعتقاد هكذا فإننا ننظر إليه على أنه مبدأ أو على أنه من تعاليم الحس المشترك» (محمود، ٢٠١١، ص: ١٠٠) ربما يكون توماس ريد قد وجد التزاما كبيرا ووثاقا بين الاثنين أي - الحس المشترك والوعي - وإلا لما ربطهما فقد كان يهدف إلى عزله عن باقي المفاهيم التي تدور في فلك فلسفة العقل فانتهى إلى ربطه وإلحاقه بواحد منها بدل ذلك (الحس المشترك)، ولكن ما يمكن أن نستنتجه من كلام توماس ريد أنه يجعل الوعي سلطانا على الحالات العقلية كلها فعلا إلا

أنه تابع للحس المشترك وتعبير دقيق نابع للحالات العقلية تابع للحس المشترك التي سنتناولها لاحقاً، أما جون سيرل الفيلسوف الأمريكي فيذهب إلى أبعد مما ذهب إليه سابقوه وبالمخصوص توماس ريد حيث يقول: «هنالك مشكلة يفترض أنها صعبة ولكنها لا تبدو كذلك خطيرة للغاية ألا وهي مشكلة تعريف الوعي. وهناك افتراض بأنه من الصعب تماماً تعريف هذا الحد. ولكن إذا ميزنا بين التعريفات التحليلية التي تهدف إلى تحليل الجوهر العميق للظاهرة وتعريفات الحس المشترك المتعددة فإنه لا يبدو لي أنه من الصعب على الإطلاق تقلص تعريف الحس المشترك: يدل الوعي على حالات الإحساس Sentience والإدراك Awarness التي تدل بصورة نموذجية عندما نستيقظ من النوم بلا أحلام ونستمر حتى نذهب إلى النوم مرة أخرى ونقع في سبات أو نموت غير واعين بطريقة أخرى» (ص: ٢٠١٨، ٧٨) إن ما قام به "سيرل" هو تجاوز لـ "توماس ريد" ورأيه في الوعي ففي حين إكتفى "ريد" بإلحاق الوعي بالحس المشترك فإن سيرل فصل بينهما بواسطة استعمال التحليل اللغوي واستعمال المنطق، كذلك تعريف المصطلح على الأقل من جانب الحس المشترك للقول والتسليم بأن الوعي خاصية إنسانية مادام الحس المشترك خاصية إنسانية هو الآخر فكيف ذلك؟

٢- الوعي كخاصية إنسانية (الحيوان)

عندما نتكلم عن الوعي فإننا قد ندخل وعي من نموذج آخر كوعي الفريسة باقترب المفترس أو وعي المفترس بمرور فريسة في عالم الحيوان إلا أن ذلك الوعي لا يشبه الوعي الإنساني على الإطلاق ويقول سيرل في هذا السياق: «...هناك ناموسة ضئيلة تسقط على الورقة أمامي وما كنت لأراها لولا بياض الورقة الناصع، والتي إذا اقترب منها سن القلم طارت بعيداً، هل تملك خبرة واعية؟... وهناك من يرى بأن الوعي الإنساني ينفرد بخاصية تميزه وهي أنه حيث يكون واعياً يدرك أنه واعٍ أما بقية الكائنات الواعية فلا تعرف أنها واعية وهذا يعني أنها تفتقر إلى الوعي الذاتي Self-Consciousness الذي يبدو أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتمتع به» (ص: ٢٠١٨، ٧٨) ومن خلال كلام سيرل نفهم بأن ميزة وعي الإنسان عن وعي الكائنات الأخرى هو الدرجة الثانية من الوعي الذي يتمتع بها وحده دون غيره إن صح التعبير هي ما فوق الوعي أو وعي الإنسان بوعيه أما وعي الحيوان فلا يغدو أن يكون إلا منعكساً شرطياً.

٣- الوعي كخاصية إنسانية (الإنسانيات)

يعد كل من الوعي عند الحيوان ممارسة للإثبات بالنفي حتى يخلو للإنسان وحده. ولكن هنالك جانب آخر يدخل اللعبة اللغوية مؤخراً أقصد بذلك الذكاء الاصطناعي: Artificial-Intelligence الذي اخترع اسمه جون ماکرتي JohnMacrthy. في ندوة نظمها حول هذا الموضوع سنة ١٩٥٦ أي توليد الخاصية العقلية في الآلات. وأما حد الذكاء الاصطناعي كما عرفه مارفن منسكي Marvin Minsky مؤسس معمل الذكاء الاصطناعي في MIT هو العلم الذي يجعل الآلات تفعل أشياء سوف تتطلب ذكاء إن فعلها الإنسان (ص: ٢٠١٨، ١١١) وبالتالي فإن حديثنا عن تعريف منطقي نخبرنا بأن الإنسان كائن عاقل يصبح من الماضي على هذا النحو بحيث أن الآلة

والذكاء الاصطناعي خاصة (كحالة عقلية) لم يصبح خاصية إنسانية لا جنس قريب ولا فصلا نوعيا بلغة المنطق... غير أن بعض باحثي الذكاء الاصطناعي بدأوا في صنع إنسياليات يمكنها التعرف على عواطف في تعبيرات وجوهنا ونبرات أصواتنا هذه خطوة أولى نحو إنسياليات تتعرف على البشر على أنهم أكثر من مجرد بيكسلات عشوائية وأن لديهم حالات عاطفية، في العقود المقبلة سترتفع الإنسياليات تدريجيا من المستوى ٢ من الوعي لتصبح بذكاء فأرا وأرنب ثم قطة. وربما في أواخر هذا القرن ستكون بذكاء قرد وستبدأ بخلق أهدافها الخاصة بها (كاكو، ٢٠١١، ص: ٢٧٣) وقد كان هذا الكلام معقولا بالنظر لصاحبه الفيلسوف والمفكر المستقبلي ميشوكاكو وربما يبدو غامضا في كلامه عن مستويات الوعي إلا أننا سنفصل فيما يلي هذه المستويات:

- المستوى الأول من الوعي يمكن أن يشمل بعض الحشرات ويشمل بعض الأجهزة الإلكترونية باعتمادها إنسياليات (روبوتات)، فإنسياليات اليوم هي عند المستوى ١ بما أنها متحركة لكنها عند مستوى منخفض جدا لأنه من الصعب عليها الانتقال في العالم الحقيقي، ويمكن مقارنة وعيها بوعي دودة أو حشرة بطيئة (كاكو، ٢٠١١، ص: ٢٧٢) تماما مثلما يتوقف المكيف عن التكييف عندما تكون درجة الحرارة منخفضة أكثر من اللازم أو العكس ونفس الشيء بالنسبة للثلاجات، هذه تعدى كمستوى أول للوعي، وعلى سبيل المثال يشمل البصر وحده عددا كبيرا من دارات التغذية الراجعة بما أن العين يمكنها التعرف على اللون والحركة والأشكال وشدة الضوء والضلال (كاكو، ٢٠١١، ص: ٦٣) ومنه فإن العين تصنف في مستوى أعلى من سابقتها ومستوى الوعي حسب ميشوكاكو خاضع لدرجات من الوعي كمعطيات وبالتالي على مستوى يحوي حوالي ١٥٠ درجة أي بمعنى ١٥٠ معطى في كل مستوى، المستوى الأول هو النبات بما يملك من معطيات النمو والإنتاش والتركيب الضوئي، والمستوى الذي يسبقه هو الجهاز، والمستوى الذي يليه أي المستوى الثاني هو الحيوان، إلى أن ننتهي إلى أرقى مستويات الوعي وهو الثالث عند الإنسان وهو وعي الوعي أي أن يعي الإنسان وعيه. ويقول عنه ميشوكاكو: «أعتقد أن المستوى الثالث من الوعي يخلق نموذجاً لموقعه في العالم ثم يمثله للمستقبل بإجراء تنبؤات تقريبية يمكننا تلخيصها كما يلي: الوعي البشري هو شكل خاص من الوعي يخلق نموذجاً للعالم ثم يمثله زمانيا، وذلك بتقسيم الماضي من أجل تقبل المستقبل يتطلب هذا تعاملات مع دارات تغذية راجعة عديدة وتقييمها بغية إتخاذ قرار لتحقيق هدف ما» (كاكو، ٢٠١١، ص: ٦٥)

إن خاصية الوعي الإنساني حسب "ميشوكاكو" هي العامل الزماني الذي يربط فيه الإنسان بالماضي والحاضر والمستقبل وهذا ما يعد حكرا على الإنسان مقارنة بالحيوان والنبات إلا أنه لا يستثني وصول إنسياليات لهذا المستوى مستقبلا. ولعل هذا الحلم قد أصبح هدفا منذ زمن تورينغ الذي طور آلة ذكية وهي وسيلة تتضمن رأسا يفحص شريط، وهذا الأخير مقسم إلى وحدات ومربعات توضع عليه رموز الأحاد والأصفار، وتستطيع هذه الآلة أن تنجز عدة عمليات بشكل دقيق، إنها تستطيع أن تمحو رمزا وتطبع الآخر... وهي تؤدي هذه العمليات تبعا لقواعد معينة تسمى البرامج. أخذ علماء الذكاء الاصطناعي الآلة الفكرية - إذا جاز التعبير - ومضوا بها إلى أبعد غاياتها فكانت لنا أجهزة الكمبيوتر الحالية. (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١١٨) ومثلما كانت هذه بالأمس حلما للإنسياليات الواعية أيضا قد تكون حلم

اليوم بالنسبة للمستقبل، ناهيك على أن الأجهزة والبرامج الذكية تقوم بالتنبؤ بالزلازل والبراكين ورصد حركة الكواكب وغيرها إذ يمكن أن نصنفها في خانة الوعي البشري ولا ضرر في ذلك إذا أخذنا بطرح "ميشوكاكو".

ولكن السؤال مطروح هنا بالتحديد هو كيف يمثل الدماغ البشري المستقبل بالضبط؟

يغمر الدماغ البشري بكميات ضخمة من البيانات الحسية والعاطفية، لكن المفتاح هو تمثيل المستقبل. يصنع حالات عرضية بين الحوادث أي: لوحات A فيحدث B فإن C و D ربما ينتجان عن ذلك... يخلق هذا انفعالا متسلسلا من الأحداث صانعا في النهاية شجرة من الحوادث المستقبلية الممكنة المتسلسلة مع العديد من التفرعات العرضية لإتخاذ القرار النهائي. (كاكو، ٢٠١١، ص: ٦٧) ولعل أبرز مثال عن ذلك عندما تقوم مجموعة بسرقة بنك فإنها تستشرف وتتبصر ما ستقوم به، فتقوم بحساب وتقييم المئات من الروابط العرضية مثل الطريق، الشرطة والناس، نظام الابتكار لتمثيل نظام ناجح للسرقة إلا أن من الملاحظ أن طرح ميشوكاكو بالرغم من أنه مستقبلي يتكلم عن الإنسياليات إلا أنه يستند إلى قواعد وظيفية من جهة وربما استيعادية من جهة أخرى وكلا الموقفين سنتناولهم في عناصر لاحقة خلال بحثنا هذا.

في جامعة واسيد في اليابان يعمل العلماء على إنساني يمتلك حركات لأعلى الجسم تمثل العواطف، الخوف، الغضب، الدهشة، الفرح، الاشتماز والحن، ويمكنه السمع والشم والرؤية واللمس برمج ليؤدي مهمات بسيطة مثل إشباع نومه للطاقة وتجنب الظروف الخطيرة هدفهم هو دمج الأحاسيس بالعواطف بحيث يتصرف الإنساني بالطريقة المناسبة في الظروف المختلفة. (كاكو، ٢٠١١، ص: ٢٧١) أي أن العالم يسير اليوم من تشيؤ الإنسان نحو أنسنة الشيء بعبارة موجزة إن جاز إختصار البحر في قطرة، كما أن العلماء يمكنهم أن يفعلوا أشياء اعتبرت مرة مستحيلة ربما أمكنك يوما ما أن ترى فيديو لحلمك الذي حلمت بها الليلة السابقة وأن تحصل على رؤيتك لعقلك الباطن، ومع التدريب الصحيح ربما نستطيع أن نتحكم عن وعي في طبيعة أعلامنا. (كاكو، ٢٠١١، ص: ٢٠٥) إلى حد الآن يمكننا أن نكون قد أحطنا بكل جوانب الوعي من منظور صناعي برمجي آلي. لنلخص الآن تعريف الوعي حسب كاكو: الوعي هو عملية خلق نموذج للعالم باستخدام دارات تغذية راجعة عديدة لمتغيرات مختلفة على سبيل المثال (درجة الحرارة والمكان والزمان والعلاقة مع المتغيرات الأخرى) من أجل تحقيق هدف ما على سبيل المثال إيجاد شريك والطعام والمأوى... أدعو هذا بنظرية زمان الوعي (كاكو، ٢٠١١، ص: ٦٢) إذن يقسم كاكو نظريته في الوعي وتفسيره على أساس استعارة مختلفة آخرها مصطلح الزمكان الأنشائي وقبله الوظيفية التي تنتصر للبيولوجيا وكذلك الاستيعادية التي تلغي الميتافيزيقا حتى تكون الدراسة ممكنة كخطوة أولى إلا أن هذا الجمع لم يمكنه فعلا من الإلمام بدراسة الوعي وإعطاء وجهة نظر قوية بدليل النقد الذي وجه له، حيث يقول هربرت ديفوس وخلاصة إعتراضه أن الذكاء الاصطناعي لا يشير بنجاح كبير عندما ينجز هذا الجانب أو ذلك من الذكاء البشري من غير أن ينجز بقية الجوانب، والسبب في ذلك أننا لا نستطيع أن نفصل قدراتنا على استعمال اللغة مثلا من قدرتنا على إدراك الآخرين والتفاعل معهم بطريقة إدراكية وانفعالية ثم تنتهي هذه الاعتراضات إلى أن أجهزة الكمبيوتر تفتقر إلى خبرة واعية وهي التي يتمتع بها العقل

البشري. (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١١٣) أي أن الوعي ليس بمعزل عن باقي الحالات العقلية الأخرى فإن لم تتحقق هي الأخرى فإننا لم نقم بشيء يذكر فالوعي دون فهم وقصد لا يعدو وعيا باعتبار أن العقل هو تظافر لتلك الحالات العقلية وكل حالة وحدها ليست عقل بل صفة عرضية له ولعل أبرز نقد واعتراض على ميشوكاكو والكثيرين ممن يحتزلون الوعي والعقل هو حجة الغرفة الصينية Chinis Room لجون سيرل وسنشرحها فيما يلي:

٤- الوعي والحجرة الصينية

لنفترض أنني لا أعرف الرموز الصينية التي كانت في صناديق تسمى قاعدة البيانات Database وأن كتاب القواعد الانجليزية يسمى البرنامج Program وأن الرموز التي ترسل إلى الحجرة عن طريق نافذة صغيرة أي الأسئلة تسمى مدخلات Inputs، وأن الرموز التي أرسلتها أنا خارج الحجرة (أي الإجابات) تسمى المخرجات Outputs، وأن الخبراء الذين وضعوا كتاب القواعد ويرسلون إلى الأسئلة يسمون المبرمجين أما اسمي أنا فهو الكمبيوتر. (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١١٩)

على هذا النحو سيقول الشخص الموجود خارج الحجرة أنني أجيد الكلام بالصينية بطلاقة خاصة بعد أن أكتسب مهارة وأتعود على الرموز ولكن السؤال المطروح هنا: هل أعني ما أكتب من رموز فعلاً؟ هل لي قصد في استعمالها؟ هل أفهمها؟ كل إجابات الأسئلة السابقة ستكون بالنفي حتماً وما يهمنا نحن هو الإجابة عن السؤال الأول هل أعني ما أكتبه من رموز صينية؟ نفس الأمر يحدث بالنسبة للحاسوب والآلات المبرمجة عامة فهي تتعامل وفق ما ترمج عليه من مدخلات ومخرجات دون أن تعي وعياً تاماً حقيقياً ماذا تعنيه هذه المدخلات والمخرجات وهذا ماتفتقر إليه الانسيالات والحواسيب وغيرها من الالكترونيات والأجهزة.

وقد كانت مقالة "العقول والأمناء"، والبرامج عام ١٩٨٠ في مجلة "العلوم السلوكية والمخية" هي أول ما نشره سيرل عن حجة الغرفة الصينية ومن أبرز عروض سيرل المتأخرة لحجة الغرفة الصينية مقالته المشهورة بعنوان هل عقل المخ برنامج كمبيوتر؟ المنشور في المجلة الأمريكية العلمية عام ١٩٩٠. (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١١٥) وهذا ما يؤكد أن حجة الغرفة الصينية اعتراض صارخ لجون سيرل على فكرة الاختزالية التي مثلناها بطرح ميشوكاكو باعتباره معاصر يضم كل من سبقوه.

صحيح أن سيرل حاول البرهنة على أن "الفهم هو ما تفتقر إليه الحجرة الصينية ولكن الوعي والقصدية يقعان أيضاً من الحجة عند حجر الأساس لأن الشيء الأساسي الذي افتقر إليه الشخص في الغرفة الصينية هو الخبرة الواعية لفهم اللغة الصينية والقصدية عند سيرل تتطلب الوعي. إننا لا نفهم القصدية إلا في حدود الوعي. (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١٣١)

فبالرغم من أن سيرل يولي أهمية بالغة كبيرة للقصدية من بين الحالات العقلية الأخرى إلا أنه لم يفوت فرصة جعل الوعي عاملاً أو بالأحرى حداً للقصدية واقترح جون سيرل حجة أخرى مختلفة عن حجة الغرفة الصينية ، وتقوم الحجة الجديدة على فكرة أن الحساب مرتبط بالملاحظة واقترحها في عام ١٩٩٠ واقترحها في مقال "هل المخ كمبيوتر رقمي؟"

وحقيقة هذا الشيء يتألف من ألياف السيليلوز مستقلة عن الملاحظ أما حقيقة أن هذه ورقة من فئة العشرين جنبها مثلا فهي مرتبطة بالملاحظ. أنظر إلى الصفحة التي تقرأها الآن تجد عليها علامات خبرية معينة التركيب الكيميائي لعلامات الخبر أمر جوهري أصيل في الطبيعة ومستقل عن الملاحظ ولكن حقيقة أنها جمل عربية وأنواع أخرى من الرموز هي حقيقة مرتبطة بالملاحظ ليشمل مرتبط بالمستقبل والصانع والمصمم... وهلم جرا (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١٣٦) وبالتالي فإن جهاز الحاسوب ليس مستقلا تمام الاستقلال عن الصانع ولا عن الملاحظ ولا المصمم ولا المبرمج وبالتالي فإن شرط الوعي والقصدية وبعض الحالات الأخرى سقط هنا من الانساليات ولا يمكن القول على أي وجه بوجود أي وعي سيليكوني، ولست أدري كيف استعمل ميشوكاكو جانبا من النظريات العلمية مثل (قطة شرودينجر) في كتابه مستقبل العقل دون أن ينتبه إلى أنها قد تسقط كل ما قاله في الماء باعتبارها الأقرب لما قاله سيرل عن دور الملاحظ في عملية الحساب والاستقلالية، حيث قال: «يدعي البعض أننا لم نفهم أبدا سر الوعي بما أنه فوق مجال تقنياتنا المتواضعة في الحقيقة فالوعي حسب رأيهم أكثر أساسية حتى من الذرات والجزيئات والعصبونات وهو الذي يحدد طبيعة الحقيقة نفسها. بالنسبة لهم فإن الوعي هو الوحدة التي خلق منها المادي وللبرهان على نظريتهم يشيرون إلى إحدى أعظم المشاكل في العلم كله، وحتى نتحدى تعريضا للحقيقة نفسها: (معضلة قطة شرودينجر)» (هيل، ٢٠١٧، ص: ٣٩٩) وهذا بدوره إقرار بأن النقد اللاذع الذي تلقته الاختزالية قد يكون اعتراض سيرل فيما يخض علاقة وحساب الملاحظ والمتمثل في قطة شرودينجر كمثال ويمكن تلخيص نظرية شرودينجر فيما يلي:

٥- الوعي وعلاقته بالملاحظ

ولنأخذ مثال قطة شرودينجر (قطة شرودينجر)... صندوق مغلق يحتوي على قطة حية وقنبلة بها سم وقد رتب هذه الأشياء بحيث إذا حدث وتفككت الذرة المشعة تنكسر القنبلة المحتوية على السم وتموت القطة وهناك فرصة ٥٠/٥٠ أن تموت القطة لو طبقنا مفاهيم عالم حياة اليوم يمكن القول دون أن ننظر داخل الصندوق وبكل صراحة. إن القطة إما حية أو ميتة والآن نأخذ في الحساب غرابة عالم الكم وتبعا للنظرية فلا يمكن تطبيق أحد الاحتمالين بالنسبة للمادة المشعة ومن ثم القطة ولذا لا يوجد واقع إلا إذا شاهدناه (جريدن، ٢٠٠٩، ص: ١٦) ومن خلال هذه التجربة تبين أن الملاحظ أهم من الملاحظ، وهو من يعطي المفاهيم مواضيعها يقول وغتر في ذات السياق: إن الشخص الواعي فقط يمكنه مراقبة الدالة الموجية لكن من يقول إن هذا الشخص موجود؟ لا يمكنك فصل المراقب على المراقب لذا الشخص إما حي وإما ميت أيضا بعبارة أخرى لابد أن تكون هناك دالة موجية جديدة تتضمنه القطة والمراقب كليهما لتؤكد أن المراقب حي نحتاج إلى مراقب ثاني يدعى (صديق ويغتر) وهكذا فإننا نحتاج إلى عدد لا نهائي من أصدقاء ويغتر لهدم الدالة الموجية للتأكد من أنهم كلهم أحياء نحتاج إلى شكل من الوعي الكوني أو إله. (كاكو، ٢٠١١، ص: ٤٠٤) ولعل كلام ويغتر لا يخدم طرأ كأكو بقدر ما يفنده إذن هذا الكلام الهائل من أصدقاء ويغتر كله لهدم دالة موجية يمثل تسلسلا في الوعي ويجسد العلاقة بين المراقب والمراقب أي بين الواعي وموضوع وعيه الذي يمكن أن يكون دونه.

٦-مكان الوعي:

يختلف المفكرون والعلماء باختلاف مذاهبهم عن مكان الوعي أين يقع الوعي ومن المسؤول عن العمليات الواعية إلا أن المتواضع عليه هو أن الوعي له خاصية (داخلية) داخل جسم الإنسان، فالوعي لا يمكنه أن يحدث في مكان منفصل عن المخ كما أن سيولة الماء لا تنفصل عن الماء وصلابة المادة لا تنفصل عن المادة وتبقى مرتبطة مع باقي الحالات الواعية ناهيك على أنها كيفية مميزة غير كمية. ذات طابع ذاتي تتمتع بأنطولوجيا صيغة المتكلم First Person Antology (هيل، ٢٠١١، ص: ٨٠) وبالتالي فإن الوعي لا ينفصل عن المخ مثلما لا ينفصل العقل عن الدماغ باعتباره حالة من الحالات العقلية حيث يقول مارفمينسكي: العقول هي بكل بساطة ماتقوم به الأدمغة (كاكو، ٢٠١١، ص: ٢١٩) ونفس الشيء بالنسبة لجون سيرل حيث يقول عن موقع الوعي في كتابه "مدخل موجز" «إذا شربت فأنا أشرب لأنني عطشان. الشيء الثاني الذي يجب ملاحظته هو أن مشاعري بالعطش قد سببتها كليا عمليات نيورولوجية في الدماغ... بالمناسبة توجد مقاومة غريبة بالإقرار بأن سبب حالتنا الواعية هو عمليات دماغية. بعض الكتاب يراوغون ويقولون أن الدماغ يصدر الوعي (Gives Pise) آخرون يقولون أن الدماغ "قاعدة" (Seat)...إنها عمليات واعية تحدث في الدماغ وبهذا المعنى إنها صفات دماغية رغم أن مستواها أعلى من مستوى العصبونات ونقاط الاشتباك العصبي، إن شعور العطش الواعي يحدث في الجهاز الدماغي» (سيرل، ٢٠٠٧، ص: ٩٣) إلى حد الساعة يبدو كلام السابقين معقولا ولكن هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك يتساءل توماس أكسلي ١٨٢٥-١٨٩٥م كيف يحدث شيء جدير بالملاحظة هكذا مثل الوعي كنتيجة لإثارة النسيج العصبي ولا يقبل التفسير تماما مثل ظهور الجنين من المصباح عندما يحكه علاء الدين (صلاح، ٢٠١٨، ص: ٩٠) وعندما نصدم بسؤال من هذا النوع نكون قد غصنا في أعماق لغز الوعي، ويبدو كأننا لم نفهم هذا الشيء القريب منا الأكثر ألفة على الإطلاق إن هذه الأسئلة وما نسج على منوالها تكشف عن وجود ما أصبح يسمى في العرف الفلسفي باسم

(الفجوة التفسيرية) Explanatory Gap

٧-تجاوز الفجوة التفسيرية

مغالطة الغموض Falases of ambiguity

إن الحديث عن فجوة تفسيرية يقودنا إلى البحث عن أسباب هذه الفجوة فنحن الآن أمام أكبر إشكال إن لم نقل مفارقة تجعل دراسة الوعي مستحيلة بحيث يقال أنه لا يمكن دراسة الوعي دراسة علمية لأن العلم موضوعي و الوعي ذاتي هذا ما يهمنا نحن لأنه المنطلق بحيث لا يمكننا التوقف عند سؤال كيف نشيء الغير مادي من المادي؟ وإنما كيف يمكننا دراسة الوعي الغير مادي أولا وتحليل السؤال الأخير تصطدم بهذه المفارقة. يقول سيرل في هذا المجال «نرى أن المعنى الأنطولوجي يشير إلى طريقة وجود أنواع كائنات في العالم فالجبال الأزهار، ذات طريقة موضوعية في الوجود ذلك أن طريقتهما في الوجود لا تعتمد على خبرات الذات العارفة لكن تأمل الآلام والأفكار والمشاعر نجدها (ذاتية في الوجود) Subjective made of existence لأنها لا توجد إلا بوصفها مختبرة من جانب الذات العارفة

والمغالطة في الحجة هي أنه بسبب امتلاك حالات الوعي لطريقة ذاتية على نحو أنطولوجي في الوجود فلا يمكن دراستها بالعلم الذي هو موضوعي على نحو معرفي» (صلاح، ٢٠١٨، ص: ٨٢) وبالتالي فإن قضية مكونة من معطى موضوعي على نحو معرفي ومعطى ذاتي على نحو أنطولوجي لا هي بصادقة ولا هي بكاذبة بل قضية محالة كأن تقول هل الجزائر بعيدة أم لون السماء أزرق من الناحية الشكلية تكون صحيحة ولكن من ناحية المضمون هي خاطئة وهي إلى حد ما تشكل خطأ التصنيف الذي وقع فيه ديكرت. ومنه فإن الوعي يمكن أن يدرس دراسة علمية موضوعية من الناحية المعرفية أو من مستوى لغوي واحد أي معرفي، ولا ضرر في ذلك.

٨- أخطاء الوعي:

يمكن للإنسان أن يخطئ في قراءته للوعي ولم يكن ذلك حكرا على عامة الناس فقط بل الكثير ممن أخطأوا فيه هم من أهل الاختصاص وتعددت الأخطاء فيما يلي:

٨-١- الوعي الذاتي: ليس في كل حالات الإنسان يكون واعيا لوعيه وهذا م وقع فيه ديكرت لأن الإنسان لا يراقب وعيه حضوريا دائما وإلا لما تمكن من الالتفات لواقعه ولا لحسه المشترك.

٨-٢- الاستبطان: إذا جاء بمعنى استبطان حالاتنا الواعية بمعنى أننا نفكر فيها فلا بأس، أما إذا كان معناه حرفيا النظر بعين داخلية فهذا خطأ حسب سيرل.

٨-٣- عدم قابلية التصحيح: يرى سيرل أن الناس تخطئ في تشخيص حالاتها الواعية الخاصة فتتكرر الغيرة مثلا وهذا ما يسمى خداع النفس والطريقة الثانية هي سوء التفسير في بعض الأحيان يكون سوء تفسير الحالات الواعية مثل الأستاذ الذي يوبخ تلميذه ضنا منه أنه تهور في الإجابة فيما أنه يتعين صراع أجيال.

وبالتالي فإن حالتنا العقلية ليست يقينية مثلما زعم ديكرت وإنما تخطئ وتقبل التصحيح (صلاح، ٢٠١٨، ص:

٨٤-٨٧)

٩- علاقة الوعي بالحالات العقلية الأخرى:

٩-١- الوعي والحس المشترك:

أول ما يتبادر إلى أذهاننا سؤال ما المقصود بالحس المشترك؟... وتعني هذه العبارة من الناحية الفلسفية مجموعة المبادئ المشتركة في الأذهان جميعا وهي مجموعة المعتقدات التي تنشأ عن إجماع غالبية الناس، وهي مجموع المواقف الطبيعية التي يعتنقها الرجل العادي في حياته اليومية عن وجوده وحرته ووجود العالم دون مناقشة وتحليل أو مراجعة ونتيجة لذلك يسمى البعض هذه الفلسفة بالواقعية الساذجة. (السيد، ٢٠١١، ص: ١٢)

والآن يمكننا أن نتكلم عن وجود علاقة بين العقل كمصطلح كلي جامع للحالات العقلية مع الحس المشترك ومن ثم نخصص أكثر لتكلم عن الوعي كحالة عقلية وعلاقته به كذلك.

السؤال الثاني الذي نطرحه هو هل الحس المشترك هو العقل؟ بما أنه مجموع المبادئ المشتركة في الذهن؟ نجد توماس ريد يقرر في مواضع أخرى من كتاب " في القوى العقلية أو النظرية للإنسان " إن الحس المشترك هو درجة من درجات العقل

ويقول في ذلك اننا نعزو إلى العقل وظيفتين أو درجتين الأولى هي الحكم على الأشياء واضحة بذاتها والثانية من استخلاص نتائج ليست واضحة بذاتها من حقائق واضحة بذاتها الوضعية الأولى منهما هي مجال الحس المشترك... وبناء على ما سبق يمكننا القول إن الحس المشترك درجة من درجات العقل (السيد، ٢٠٠١، ص: ٣٢) الحس المشترك ليس هو كل العقل بل هو عمل من أعماله أو درجة من درجاته، إن كليهما يحتوي على الأحكام والأفكار والمبادئ عينها إلا أن العقل يحتويها كلها في كل امتدادها وبكل نتائجها وفي كل علاقاتها، بينما يشعر بها الحس المشترك فقط (السيد، ٢٠١١، ص: ٣٣) وبالتالي فإن كلام ريد السابق يحيلنا إلى معرفة أن الوعي والحس المشترك كلاهما حالتان من حالات العقل.

٩-٢- الوعي والقصدية:

أولا تعريف القصدية:

القصدية هي قدرة العقل على أن يوجه ذاته نحو الأشياء ويمثلها وهي خاصية عقلية للعقل يتجه عن طريقها إلى الأشياء في العالم أو يتعلق بها والحالات العقلية تكون قصدية بمعنى أنها تكون حول شيء ما A bout Something وموجهة نحو شيء ما Direct to something and وتمثل شيئا ما Somethin Represnt وفي هذا التعريف الموجز تتضح ثلاث أفكار (الأولى أن القصدية خاصية عقلية والثانية أن القصدية ببساطة هي توجه أو تعلق والثالثة أن مهمة القصدية هي التمثيل العقلي). (سيرل، ٢٠٠٧، ص: ٥٤) فإن دور القصدية هنا هو توجيه العقل وتأطيره دائما شأنها شأن اللغة ولكن على مستوى عقلي، يقول سيرل في كتابه "العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي" «ليس كل الحالات الواعية قصدية، وليس كل الحالات القصدية واعية وهكذا على سبيل المثال هنالك مشاعر واعية للقلق والابتهاج التي بالنسبة لها توجد إجابة عن السؤال: ما الذي أنت قلق بشأنه؟ وما الذي أنت مبتهج بشأنه؟ هذه صورة غير قصدية من الوعي وبطبيعة الحال هنالك صور عديدة من القصدية لا تكون واعية فأنا أمتلك الاعتقادات والرغبات والآمال والمخاوف حتى عندما أكون في نوم عميق... إن هنالك علاقة جوهرية بين القصدية والوعي وهي اننا لا نفهم القصدية إلا في حدود الوعي» (صلاح، ٢٠٠٧، ص: ١٤٩) وما يمكن أن نلمسه من كلام سيرل هو أن الوعي حالة تقع في مرتبة أعلى من القصدية في ترتيب الحالات العقلية، إلا أن مصطلح العقل ومفهومه الكلي لا يمكن بناؤه أو حتى فهمه إلا من خلال فهم حالاته وتحليلها وبالرغم من وجود علاقة اعتبارية بين القصد والوعي أو التمثيل العقلي والوعي إلا أنها توجد علاقة أخرى يمكن أن تكون علاقة إحتواء اعتباري للوعي عن القصدية إذ لا يمكن الالتفات إليها إلا بوجود سلطان الوعي.

٩-٣- الوعي والمادية:

إن العالم قبل بزوغ الوعي كان عالما ماديا محضاً لا يزيد على أن يكون موضوعات تتفاعل تفاعلا سببيا وتتألف من أجزاء مادية وتعرض لمجموعة من القوى الفيزيائية مثل الجاذبية الأرضية وتسير وفقا للقوانين الفيزيائية... كانت الأشياء في الكون إذن مادة غير حية وخالية من الإدراك ولكن، تأمل الخبرة الواعية، إنها تبدو بحيث تكون ظاهرة من نظام آخر

فالإدراك الذاتي ليس جوا من العالم الفيزيائي يتكون من كتل مادية في المكان. (صلاح، ٢٠١٨، ص: ٦٦) لقد مر زمن كانت فيه المادية سيدة المذاهب بإيعاز من الميكانيكا ومن لوك وهيوم إلى الوضعية المنطقية وهذا كله قبل الالتفات للغز الوعي كما كان ماديا قبل أن تطور المخلوقات عقولا ذات وعي وقصدية - من منظور داروين - ولكن ليس بعد ظهور العقول وخاصة بعد تحليلها واحتثاث حالات واعية كحالات عقلية. نحن نملك سببا جيدا للاعتقاد بأن الوعي ينشأ من أنظمة فيزيائية مثل الأبخاخ ولكننا نمتلك فكرة ضئيلة عن كيفية ظهوره وعن سبب وجوده على الإطلاق، إن النظريات العلمية الحالية لا تمس الأسئلة الصعبة حول الوعي نحن لا نفتقر إلى النظرية التفصيلية فحسب وإنما نحن واقعون في ظلام دامس حول كيفية ملائمة الوعي للنظام الطبيعي (صلاح، ٢٠١٨، ص: ٦٧) ولعل هذا ما دفع ديكارت للقول بالثنائية الديكارتية إذ أن الوعي اليوم يقترب من أن يكون ميتافيزيقي غير ملائم للنظام الطبيعي الفيزيقي، ولا يختلف طرح الماديين عن طرح الاختزاليين كثيرا باعتبار أن المادية بزعامة بتنام والاختزالية الوضعية بزعامة كاكو كلاهما يحول الحالات العقلية بما فيها الوعي ويحيلها إلى أشياء فيزيقية سواء مادة حية (فيزيولوجيا) أو مادة ميتة (سيليكونية).

نظر بيتنام إلى الحالات العقلية على أنها تشبه الحالات الوظيفية أو المنطقية للكمبيوتر ومثلما يمكن تحقيق برنامج الكمبيوتر من خلال أية مجموعة من الأجهزة المختلفة فيزيائيا كذلك يمكن تحقيق برنامج نفسي عن طريق كائنات حية مختلفة وهذا هو السبب في الحالات الفيزيولوجية المختلفة لكائنات من أنواع مختلفة، يمكن أن تحقق حالة عقلية من نوع واحد، ويقصد بتنام هنا (النوع الواحد) هو إختزال (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١١٢) فيزيقي مادي ينزع إلى أصل واحد بالرغم من اختلاف أشكاله.

١٠- الوعي والنزعة الاستيعادية

لا يؤمن هؤلاء بوجود مشكلة تسمى (لغز الوعي) أو شيء ملغز من هذا القبيل كقولنا فجوة تفسيرية، ومن أبرزهم باتريشيا تشيرشلاند ودانييل دينيت في كتاباته الأولى ويضن هؤلاء أن موضوع الوعي غير ملائم للبحث الفلسفي والعلم بالضبط كموضوع الأشباح إذ لا يوجد سوى المخ وتقارن باتريشيا تشيرشلاند ذلك بمفاهيم مثل الأثير واللاهوب... وبالتالي فحسب هؤلاء الوعي هو من اللغو الفلسفي (صلاح، ٢٠١٨، ص: ١١٢) ولعل هؤلاء أنفسهم قد وقعوا في تناقض فاضح باعتبار أن ما يخبروننا به في السطور السابقة هو إعتقاد بالدرجة الأولى ويحمل قصد بالدرجة الثانية ويقودنا إلى تمثيل عقلي بدرجة ثالثة، فكيف يكون لهم كل هذا ويحاولون نفيه فإذا نفيناه وجب أن يكون رأيهم الذي هو ليس ببعيد أول ضحايا طرحهم وهذا ما يسمى في المنطق بالتفنيد الذاتي. كما يمكننا إلى حد ما أن نصنف ليينتر معهم إذ يقول «لو استطعت نفخ الدماغ إلى حجم طاحونة وتحولت ضمنه فإنك لن تجد الوعي هناك» (كاكو، ٢٠١٧، ص: ٥٩)

١١- نزعة اللغز الجديد (أووين فلانجان)

الصورة المتطرفة منها تتمثل في النزعة المتعالية ومفادها أن الوعي هو ببساطة ظاهرة طبيعية ولكنها لا تقبل التفسير في حدود العلم على الإطلاق وأما الصورة الأقل تطرفا فتسلم بأن الوعي ظاهرة طبيعية غير أنها تؤكد على مشكلتنا في الفهم الفيزيائي للوعي ذلك أن هناك خصائص فيزيائية في أمخاخنا تفسر الوعي بالفعل ولكن باب هذا التفسير موصد في وجوهنا من الناحية الإدراكية. (صلاح، ٢٠١٨، ص: ٣٧) فإما أن يكون المشكل في الظاهرة نفسها وأن يكون فينا نحن وفي إدراكنا وفهمنا وهذا ما يحيلنا إلى زمن ليس ببعيد قبل اكتشافات فيزياء الكم إذ كانت الكثير من الظواهر تنحى نفس المنحى التفسيري هذا إلى أن أزيل عنها الستار وأدركناها.

١٢-الكيفيات الواعية الكواليا والزومبيات

إن كل حالة عقلية تتميز باحساس كفي خاص ولا يوجد اتفاق بين الفلاسفة حول كيفية إنسجام هذه الاحساسات الذاتية مع الرؤية العلمية المادية للعالم وتسمى هذه الاحساسات والحوادث والحالات باسم الكيفيات Qualia مثلا: حين تعاني من صداع فأنت تكابد نوعا من الخبرة الواعية خبرة لها كيفيات بارزة معينة و الوظيفي لا يلزمه أن ينكر أنك عندما تكون في ألم فإن لكونك في ألم شعورا أو حسا مميزا. وأحيانا ما ينكر الوظيفيون هذا بالفعل ربما لأنهم لا يجدون مكانا في العالم لكيفيات الخبرة إلا أن ما يتعين على الوظيفي أن ينكره هو أن البعد الكيفي للآلام هو ما يجعل الآلام آلاما (هيل، ٢٠١٧، ص: ١٩٤) أما الزومبيات فهي نفي للكواليا... قد يكون ممكنا لمخلوق ما أن يكون في ألم ولكن واضح في هذا الصدد حين نتخيل مخلوقا سلك تماما مثلما نسلك عندما نكون في ألم فهو يشكو ويتخذ خطوات لتحقيق الألم ويبدو في معاناة تماما مثلما نحن حريون أن نفعل، إن الروابط العلية جميعها موجودة والمفقود هو الجانب الداخلي للألم -الجانب الكيفي-. (هيل، ٢٠١٧، ص: ١٩٥) .

لعلك تشك في إمكانية وجود مثل هذه المخلوقات إلا أن الفكرة ليست أن مخلوقات من هذا النوع الزومبيات هي مخلوقات ممكنة في ضوء قوانين الطبيعة باعتبارها عارضة أي كان يمكن أن تكون غير ماهي عليه... و لنأخذ ذلك من باب الفرض إن الزومبيات تفتقد أي شيء من قبل الحس الكيفي الذي يتخلل خبرتنا الواعية يترتب على ذلك إن كان من الممكن أن تكون ما أنت عليه الآن بطاقتك الكامل من الحالات السيكلوجية إلا أنك خال تماما من الخبرة الواعية. إذا كان ذلك فسوف تقطن عالما لا يفترق عن العالم الفعلي ولكنه من الداخل مختلف جدا إنه عالم لا داخل له. بالمختصر المفيد قد يكون عالم أجوف جاف .

١٣-نقد الكواليا والزومبي:

لعل هنالك رد وظيفي أكثر إقناعا، تخيل أنك الآن تنظر إلى شجرة...، إنك فيما يفترض تمر بخبرة بصرية واعية . ماهي كيفية هذه الخبرة الواعية؟... من الخطأ أن نخلط بين كيفية شيء ما تدركه وكيفية خبرتك لهذا الشيء... قد يقول الوظيفي متشبثا بهذه النقطة إن الخبرات نفسها ليس لها بحد ذاتها كيفيات يمكن أن تحدد بمعزل عن كيفيات الأشياء المدركة وبالتالي فإن غياب الأشياء المدركة تغيب الكيفيات هي الأخرى وهذا دليل قوي على أن الكيفيات الواعية أو الكواليا هي نفسها كيفيات الشيء المدرك أما فيما يخص الحديث عن الزومبي فقد قدم سيرل اعتراضا واضحا يقضي

فيه النظرية كلها في سطر واحد إذ يقول: "نحن لا نستبعد الكيفيات المزعجة من أملك إلا بإيداعها في تمثيلاتك في حالة أملك" (هيل، ٢٠١٧، ص: ٢٦٥) بمعنى أن التمثيلات أملك هي نفسها وذاتها وعينها أملك فلماذا نشعر بالأسى إزاء شيء معين ولماذا نشعر بالألم إتجاه مشهد معين يعرض في السينما؟

خاتمة:

إن علاقة الوعي بالحالات العقلية الأخرى وعلاقة هذه الأخيرة بالعالم بما يحويه من جوانب عدة، بالإضافة إلى علاقة الوعي بالعالم أيضا كلها تجعل منه أمرا ملغزا صعب الفهم، لا تستوفيه كل الشروح والتفسير فهو يقع على هرم العقل الذي يقع بدوره على هرم فهم العالم، ولا يختلف اثنان على ذلك بدليل مقاله سيرل في كتابه "العقل مدخل موجز" عن الوعي بعد نفاذ تحليله: "الوعي ظاهرة مذهلة وسرية لدرجة أن المرء دائما يشعر بأن مجرد السعي إلى وصفه بكلمات عادية لن يؤدي فقط بطريقة أو أخرى إلا إلى الفشل" (سيرل، ٢٠٠٧، ص: ١٢٨) .

المصادر والمراجع:

- صلاح إسماعيل، ٢٠٠٧م، نظرية جون سيرل في القصدية؛ دراسة غفي فلسفة العقل ، الكويت: المجلس العلمي للنشر جامعة الكويت.
- ميشو كاكاو، ٢٠١٧، مستقبل العقل، ترجمة سعد الدين خرفان ، ، الكويت: عالم المعرفة، المجلس العلمي للنشر جامعة الكويت .
- صلاح إسماعيل، ٢٠١٨، فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل، ط١، القاهرة: دار قباء الحديثة.
- محمود سيد أحمد، ٢٠١١، فلسفة العقل عند توماس ريد، ط١، بيروت لبنان: دار التنوير.
- جون هيل، ٢٠١٧، فلسفة العقل، ، ترجمة عادل مصطفى، القاهرة : دار رؤية.
- جون جرين، ٢٠٠٩، البحث عن قطة شرودينجر، ترجمة فتح الله شيخ واحمد عبد الله السماحي، ط١ ، مصر: كلمات عربية للنشر.
- صلاح إسماعيل، ٢٠١٨، فلسفة اللغة العقل والعلم ، في الفلسفة المعاصرة، ط١، القاهرة: دار رؤية.

- جون سيرل، ٢٠٠٧، العقل مدخل موجز، ترجمة ميشال حنا ماتياس، الكويت: عالم المعرفة.